

بسم الله الرحمن الرحيم

جعفر بن أبي طالب عليه السلام

أول معرف بالإسلام في القاهرة الإفريقية

جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ وأخو علي كرم الله وجهه ، وزوجه أسماء بنت عميس رضي الله عنهما أسرة فتية من آل بيت النبي ﷺ سباقين إليه .. سباقين إلى الهجرة .. سباقين إلى الطاعة .. أسلما قبل دخول النبي عليه الصلاة والسلام دار الأرقم ونالا نصيبهما من اضطهاد قريش حتى أذن الله بالهجرة إلى الحبشة ، فتجهز المسلمون لهذه الرحلة الصعبة واختار عليه الصلاة والسلام جعفرًا أميراً عليهم .. وحين ودعه علمه دعاء ليكون زاداً له :

(اللهم الطف بي في تيسير كل عسير ، فإن تيسير كل عسير عليك يسر ، واسألك اليسر والمعاونة في الدنيا والآخرة) ..

عندما علمت قريش بنبأ المهاجرين إلى الحبشة ما لبثت أن أرسلت وفداً إلى النجاشي محملاً بالهدايا الثمينة والأمتعة النفيسة ليردوا المسلمين واختاروا لهذا الوفد عمرو بن العاص (أسلم عام ٨ هـ) وعبد الله بن أبي ربيعة .. فلما دخلوا على النجاشي قدما له الهدايا وقالوا : -أيها الملك ! إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان سفهاء قد فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجأؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه .. فقال بعض البطارقة : صدقاً أيها الملك .. قومهم أعلم بهم ، فأسلمهم إليهما ليرداهم إلى بلادهم وقومهم .. لكن عدل النجاشي أبي عليه ان يسلم المسلمين دون أن يسمع منهم فدعاهم لمواجهة وفد قريش .. ووجه سؤاله للمسلمين فقال : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟ كان ذلك السؤال فرصة سانحة لعرض الإسلام .. ترى لو طُلب منك أن تُعرّف دينك ببضعة أسطر وتدعو إليه في مثل ذلك الموقف .. هل تستطيع ذلك ؟؟ هل تستطيع أن تفعل ما فعله جعفر عليه السلام في بضع دقائق ؟

في ذلك الموقف المهيّب .. قام جعفر الذي لم يتجاوز العشرين من عمره ليحاج أعداء الإسلام ويردّ عنه المظلمة كان جواباً نابعاً من قلب صادق فخلد على مر العصور .. قال : أيها الملك ! كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش

ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء

، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام .. فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فبعثنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ،

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عدا ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

لقد عرض جعفر عليه السلام صورة الجاهلية أولاً ، واستطاع إقناع الحاضرين بأنها صورة مظلمة تشتمل منها النفوس ، ثم رسم

صورة المنقذ إنه الرسول الكريم ﷺ ورسالاته المشرقة ، وراح يبين وجوه الإصلاح والخير التي حملتها الرسالة الجديدة ، ثم بين موقف قريش وأنه عدوان في عدوان ، وأنهم من أجل ذلك اختاروا الحبشة وملكها العادل مأوى يحميهم من أذى قريش .

قال النجاشي وقد بدا عليه الاهتمام : هل معك مما جاء به عن الله من شيء .. فقال جعفر ﷺ : نعم فقال له النجاشي : فاقراه عليّ ، فبدأ جعفر يتلو عليه مطلع سورة مريم ﴿ كهيعص ﴾ ذكر رحمت ربك عبده زكريا ﴿ إذ نادى ربه نداء خفياً ﴾ .. ﴿ فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته وقال : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .. وأقبل على عمرو وعبد الله فقال : انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ، ولا يُكادون .

فامتألت نفس عمرو غيظاً ورفض أن يقبل الهزيمة فلما كان الغد قال عمرو للنجاشي : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً فأرسل إليهم فسلمهم عما يقولون فيه .. وأرسل النجاشي إلى المسلمين يسألهم ففرعوا ولكنهم عزموا على قول الحق ، فلما دخلوا على النجاشي ابترهم بسؤاله : ما تقولون في عيسى ابن مريم؟؟ فقام أمير القوم جعفر ﷺ بثقة وإيجاز بليغ فقال: نقول فيه الذي جاءنا به نبياً محمد ﷺ ، هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .. هنالك ضرب النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود .. ثم أقبل على جعفر وأصحابه وأخبرهم أنهم آمنون بأرضه .. ثم قال لبطارقتة : ردوا عليهما هداياهما فخرج مبعوثاً قريش من عنده مقبوحين . وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار ولعلمهم انتشروا للعمل والدعوة إلى دينهم الجديد ..

ويروى أن النجاشي قد أسلم بعد ذلك اللقاء لكنه خاف بطش أهل الحبشة فكتب إسلامه وتوطدت علاقة بينه وبين جعفر ﷺ فكان النبي ﷺ يذكر النجاشي ويدعو له فلما مات استغفر له وصلى عليه ..

و مرت سنوات ، وعاد من عاد من الحبشة .. وجعفر باق هناك بأمر النبي ﷺ وتتابع الأحداث العظيمة فهاجر رسول الله إلى المدينة ثم قاتل في بدر وأحد والخندق ، وعقد بعد ذلك صلح الحديبية ، وجاءت السنة السابعة للهجرة وأذن الله أن ينتصر المسلمون على اليهود انتصاراً نهائياً في خيبر كل هذا وجعفر يتابع الأحداث من بعيد ، لكن دوره لم يكن أقل من باقي المسلمين فقد كان الداعية للإسلام في بلاد غريبة وانتشر فيها على يده .. فكان مكوثه في الحبشة رباطاً على ثغر قد أوكله عليه رسول الله عليه الصلاة والسلام .. وهو يتحمل آلام البعد عنه وعن إخوته في الله .

وأخيراً أذن الله بعودة المهاجر ومن كان معه في أرض الحبشة فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري وكتب إليه أن يرسل معه من بقي عنده من أصحابه ، وصل هؤلاء العائدون إلى خيبر وكان رسول الله ﷺ قد افتتح حصونها وطهر أرضها من كيد اليهود .. أما جعفر فكانت أشواقه تسبقه فتلقاه عليه الصلاة والسلام وقام له فرحاً فقبله بين عينيه واعتنقه قائلاً : " ما أدري بأيهما أنا أسَّ : بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟ "

ولقد جاهد ﷺ طويلاً باللسان وفتح أبواب الدعوة إلى الله بين النصارى وأن الأوان أن يجاهد باللسان فراح ينتظر الفرصة لكي يعبر عن حبه وصدق إيمانه في ساح القتال وبعد أقل من عام أعلن النبي ﷺ الحرب على الروم في غزوة مؤتة وجعل النبي عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثة عليهم أميراً ثم قال : " إله قُتل زيد فجعفر به أبي طالب على الناس ، فإله قُتل

جعفر فعبد الله به راحة على الناس ، فإن قُتل فليترضى المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم " .. انطلق الجيش إلى أرض العدو وعسكر في مؤتة ونشبت حرب ضارية رهيبة ، واستبسل زيد في القتال ولكنه كان على الشهادة مع موعد فسقط ﷺ وتلقى الراية جعفر ﷺ ومضى يقاتل ، واشتد القتال فلما أحس أن الركوب يعوقه نزل عن الفرس فعقرها خوفاً من أن يأخذها الروم فيقاتلوا عليها .. ويعلو صوته أثناء القتال قائلاً :

ياحبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها

ومضى ﷺ حتى ضربه رجل من الروم فقطع يمينه فتلقى الراية بشماله ورفعها عالياً ولكن ضربة ثانية قطعت يسراه ، فاحتضن الراية بعضديه مخافة أن تسقط ومضت اللحظات الأخيرة من العمر المبارك واستشهد جعفر ﷺ وهو في الثالثة والثلاثين من عمره وفي جسده بضع وتسعون طعنة برمح .. وأبدله الله باليدين جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة إذ قال رسول الله ﷺ الذي كان في المدينة ينعي لأصحابه الأمراء الثلاثة وعيناه تذرغان :

" استغفروا لأخيك جعفر فإنه شهيد ، وقد دخل الجنة وهو يطير فيها بجناحيه مع ياقوت حيث شاء من الجنة " .

ثم دخل عليه الصلاة والسلام على أسماء زوج جعفر ﷺ فأخبرها خبره وقال " اللهم إن جعفر قد قدم إليك إلى أحسن الثواب ، فأخلفه في ذنبه بخير ما خلفت عبداً مع عبادك الصالحين في ذنبه .. " ولما ذكرت أسماء يتم أطفالها قال ﷺ : " العيلة تخافيه عليهم وأنا وليهم في الدنيا والآخرة ؟ " ثم أخذ بيد عبد الله بن جعفر فقال : " اللهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفة يمينه " فكان عبد الله لا يبيع ولا يشتري إلا بورك له فيه.

وعندما بكت السيدة فاطمة على جعفر ﷺ قال عليه الصلاة والسلام : " علي مثل جعفر فليترك الباكية " ..

ثلاثة أيام مضت مليئة بالعبرات حزناً على جعفر ﷺ بكاه النبي ﷺ وأسرت له وأصحابه في الهجرة وكثير من الفقراء والمساكين فقد كان جعفر كثير الخير للناس حتى سماه رسول الله (**أبا المساكين**) .

ولن ينسى التاريخ أن أول من تحدث باسم الإسلام وصدق بالقرآن في القارة السمراء هو ابن عم النبي ﷺ جعفر رضي الله عنه وأرضاه الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام :

" أشبه خلقك خلقي ، وأشبه خلقك خلقي ، فأنت متي و مع شجرتي "